مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (2) 2019

النسوية السوداء بين نجوى بن شتوان وتوني موريسون

د. عيد محمود*
كنان حسين**

(تاريخ الإيداع 19 / 7 / 2018. قبل للنشر في 31 / 3 / 2019)

□ ملخّص □

مما لا شك فيه أن الخطاب النقدي – في مرحلته الأخيرة– قد اتجه إلى ربط الإبداع بمكوناته الثقافية. من هنا كان للمرأة نصيب وافرٌ من الجهود المبذولة في إطار النقد الثقافي، بوصفه معنياً في المقام الأول بالأطراف المهمشة في المجتمع.

في هذا البحث، نقارب المرأة السوداء بوصفها مركّباً من مكونين رئيسين، هما: انتماؤها إلى ذوي البشرة السوداء من جهة، وكونها امرأة من جهة أخرى؛ الأمر الذي يحملها مزيداً من الضغوط والأعباء؛ وإذ نقف في هذا البحث عند القضية النسوية، فإننا هنا لسنا بصدد مقاربة الحيز الذي شغلته المرأة السوداء على مستوى الكتابة الإبداعية، بل سنقارب الحيز الذي شغلته المرأة السوداء في روايتي "زرايب العبيد" لـ "نجوى بن شتوان"، و"رحمة" لـ"توني موريسون". وبكلمات أخرى، فإن الدرس المقارن هنا يدخل دائرة السرد النسوي من باب الموضوع، وليس من باب الإنتاج. وبذلك فإن الدراسة هنا تقارب المرأة بوصفها آخر مغايراً للرجل (الأبيض/ الأسود)، وهذا يخضع للآفاق الثقافية والاجتماعية المهيمنة في المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: النسوية، السوداء، النقد الثقافي، الآخر.

* أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية– سورية.
** طالب دكتوراه – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (2) 2019

Black feminism between Najwa Ben Shatwan and Toni Morrison

Dr. Eid Mahmoud *
Kinan Hussain**

(Received 19 / 7 / 2018. Accepted 31 / 3 / 2019)

□ ABSTRACT □

No doubt that the critical discourse, has tended, in its latest stage, to link creativity with its cultural components. For that, woman was present significantly in the cultural criticism domain. Here, we are approaching the black woman in the respect of that she is compounded of two main components: The first one is that she is a black skinned, The second: She is a woman, the matter that makes her burden more pressures and burdens. Since we are focusing, in this research, on the feminist issue, we are not going to approach the space that the black woman occupied in the scale of creativity writing, but we are going to approach the space that the black woman occupied in two novels: Zarayeb al-′Abeed by "Najwa Ben Shatwan", and "mercy" by "Toni Morrison". In another words, the comparative lesson inters the circle of the feminist narration according to the subject, not according to the production. Therefore, the research approaches woman as being the other that divers the man (either black or white), and this is subject to the dominant cultural and social prospects of societies.

Key words: feminism, black, cultural criticism, the other.

*Professor -Arabic language dept.- Faculty of letters and human sciences-Tishreen Univ.-Lattakia-Syria.
**Postgraduate student- Arabic language dept. -Faculty of letters and human sciences-Tishreen Univ.-Lattakia- Syria

مقدّمة

بقيت المرأة مهمشة مدّة طويلة من تاريخ الأدب العالمي بصورة عامة، وتاريخ أدبنا العربي بصورة خاصة، وكان ذلك نتيجة لضآلة الدور المركون إليها في الحراك الاجتماعي. وما تزال تواجه تحديات عديدة في ظل الأنظمة الأبوية المهيمنة على الصعيد المجتمعي من جهة، والعقلية الذكورية المستبدة على المستوى الأسري من جهة أخرى.

من هنا، كان على الكتابة النسوية مسؤولية رد الاعتبار للمرأة، من خلال إزاحة الرجل عن مركزية السرد، وإحلال المرأة في بؤرة الحكي السردي. وإذا كان اللون الأسود من المنظور (الأنثروبولوجي) يعدّ من أكثر البؤر اللونية شحناً للدلالة عبر قرونٍ خلت؛ لأنه يحتوي أنساقاً علائقيةً مع التاريخ والجغرافيا والدين، مميزة الجماعات والثقافات والهويات، وبوصفه عنواناً لتمثل الآخر المختلف إثنياً ولغوياً وثقافياً، ومجمل ما يندرج تحت هذا العنوان من متواليات الهيمنة والتبعية، والقوة والضعف، والقمع والخضوع، فإن الأنوثة جاءت عبئاً إضافياً عانت منه المرأة السوداء معاناة لا حد لها. وفي هذه الدراسة نوجه بوصلتنا صوب المكونات التي تتضافر في تقديم شخصية الأنثى السوداء عند كل من الكاتبتين: الليبية "نجوى بن شتوان"، والأمريكية من أصل أفريقي "توني موريسون".

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في محاولته الوقوف عند موضوعٍ من الموضوعات المثقلة بالمحاذير بالنسبة إلى العالم العربي، فبينما تعالج الدراسات الأدبية الغربية قضايا السود والعنصرية، وموقف المجتمع المتناقض منها، والقلق من الأمريكيين السود، نجد قلة الدراسات الأدبية العربية التي قاربت هذه القضية. كما تكمن أيضاً في وقوفه عند تمثيل المرأة السوداء في الخطاب الروائي من منظورٍ مقارنٍ، يعرض أوجه التشابه والاختلاف بين اشتغال كلّ من المرأة العربية والمرأة الأمريكية على قضية سوادها، وتمثلها للآخر في المجتمع الذي تعيش فيه.

منهجية البحث:

لقد اتبعنا في دراستنا المنهج المقارن مستفيدين من الاستقراء والتحليل والوصف سبيلاً إلى استنباط ما في الأعمال المدروسة من أوجه التشابه والاختلاف، آخذين في الحسبان أحوال المجتمع لكلتا الكاتبتين، أو الخلفية المرجعية.

النسوية feminism:

ربما كان من الصعب الوصول إلى مفهوم محدد مستقر لهذا المصطلح؛ إذ إنه يتخذ طابعاً إشكالياً في الأدب والنقد، وقد تصدى له كثيرٌ من الباحثين، ولا يمكننا الإلمام بالتعريفات التي تناولته كلها، وفي تخيرنا لبعضها نكون قد هيأنا لنوع من الإدراك التراكمي.

تحدد توريل موي "Toril Moi" ثلاثة مصطلحات أساسية، هي: الحركة النسائية feminism بوصفها موقفاً سياسياً، والأنثوية femalness، وهي مسألة بيولوجية، والنسوية femininity، وهي مجموعة من الخصائص التي تحددها الثقافة. أما تعبير الحركة النسائية الجذرية radical feminism الذي كان شائعاً في الستينيات والسبعينيات

فلم يعد من المصطلحات الأدبية المقبولة؛ إذ يمثل مغالاة في الانحياز للمرأة، ورفض التعامل مع عالم الرجل تماماً، ومناصرة العلاقات الجنسية فيما بين النساء، وتخطي الثقافات واللغات في سبيل وحدة المرأة في كل مكان[1].

وتعد "فيرجينيا وولف" من رائدات حركة النقد النسوي حينما اتهمت العالم الغربي بأنه مجتمع "أبوي" منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية، فضلاً عن حرمانها اقتصادياً وثقافياً. أما في فرنسا فقد تزعمت الحركة "سيمون دي بوفوار" حينما أصرت على أن تعريف المرأة وهويتها تتبع دائماً من ارتباطها بالرجل، فتصبح هي آخر (موضوعاً ومادة) يتسم بالسلبية، بينما يكون الرجل ذاتاً سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية[2].

وتذهب "سارة جامبل" إلى أن (النسوية) تعني الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة – فقط لكونها امرأة– في المجتمع الذي تنظم شؤونه وتحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته. ووفقاً لذلك فهي تصف النسوية بأنها نضال لإكساب المرأة المساواة في دنيا الثقافة التي يسيطر عليها الرجل[3].

وتجدر الإشارة إلى أن مادة (نسا) في لسان العرب تبين أن: النسوة والنساء والنسوان: جمع المرأة من غير لفظه، والنساء: جمع نسوة إذا كثرن، فالفارق إذاً ليس نوعياً، بل كمياً [4].

الآخر the other:

"معنى المصطلح هو أننا إذا وضعنا شخصاً ما، أو مجموعة، أو مؤسسة في موقع الآخر، أو الغير، فإننا نضعه أو نضعها خارج سياق انتمائنا؛ أي خارج سياق انتماء الفرد الذي يضع الشخص، أو المجموعة، أو المؤسسة في هذا الموضع عرفاً أو طبعاً. وهو مصطلح مستقى من نظريات فرويد، ويشيع في النقد الفرويدي"[5].

ساد الآخر بوصفه مصطلحاً في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي)، أو ما بعد الاستعمار، واستثمرت أطروحاته في ميادين عديدة، مثل: النقد النسوي والاستشراق... [6]

النقد الثقافي cultural criticism:

النقد الثقافي نشاط فكريٌ يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها. وهو نقد عرفته ثقافات كثيرة، منها الثقافة العربية قديماً وحديثاً. غير أن تطور هذا الميدان تكاد تحتكره الثقافة الغربية، التي تشكل حالياً المرجعية الرئيسة للتعرف على سماته ومراحل تطوره. وحين تطور ذلك النقد في الثقافة الغربية فإنه لم يتطور بوصفه منهجاً في البحث أو يتبلور على شكل تيار ذي سمات واضحة، وإنما ظل نشاطاً عائماً تدخل تحت مظلته ألوان مختلفة من الملاحظات والأفكار والنظريات. [7]

---

[1]- ينظر:عناني، د. محمد. *المصطلحات الأدبية الحديثة- دراسة ومعجم إنكليزي-عربي*. ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الجيزة- مصر، ، 2003، 30.

[2] – ينظر: الرويلي، د. ميجان– البازعي، سعد. *دليل الناقد الأدبي– إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً*. ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، 329–330.

[3] – ينظر: جامبل، سارة. *النسوية وما بعد النسوية*. تر: أحمد الشامي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، 13، 14.

[4] – ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد. *لسان العرب*.ط3، دار صادر، بيروت، 1993، مادة: نسا.

[5] – عناني، د. محمد: المصطلحات الأدبية الحديثة– دراسة ومعجم إنكليزي–عربي، 68.

[6] – الرويلي، د.ميجان– البازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، 21.

[7] – ينظر: المرجع السابق، 305–309.

أولاً: العبودية النسوية في رواية "زرايب العبيد" لـ "نجوى بن شتوان:

تضرب الروائية "نجوى بن شتوان" في رواية "زرايب العبيد" في عمق التاريخ الليبي بالعودة إلى زمن ما قبل الاحتلال الإيطالي لليبيا؛ لتكشف النقاب عنه، وتروي كيف انتهى الاستعباد في ليبيا بطرد العثمانيين منها على يد الاستعمار الإيطالي.

1- مكونات الأنثى عبر السرد:

إن تتبع الأنثى سردياً في نص "زرايب العبيد" للكاتبة الليبية "نجوى بن شتوان، يحيل على مجموعة مكونات تعد الركائز الأساسية في قراءة الأنثى في تلك الرواية؛ إذ نلاحظ في النص الذي بين أيدينا بروز المكون البيولوجي الذي يتعلق بآلة الأنوثة وتفرد تكوينها، والمكون الاجتماعي الذي يتعلق بأعراف المجتمع وتقاليده، والمكون الثقافي الذي يشكله وعي الأنثى الثقافي لنفسها، وللعالم. إن المكونات السابقة تمثل أهم الركائز التي تبنى عليها مقاربة السّرد النسويّ؛ إذ إنها امتداد لثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه النصّ(*).وبما أن دراستنا هنا تعنى بالمرأة بوصفها آخر أسود، فإنه لا بد من الجمع بين المرأة بصورة عامة، والمرأة السوداء بصورة خاصة، وذلك بأن نضيف مكوناً آخر هو المكون الأنثروبولوجي الذي يحضر بقوة في سرديات النسوية السوداء، ويمارس دوره في تعميق جرح المرأة من منظور آخر، هو المنظور العرقي.

أ- المكون البيولوجي:

إن السرد النسوي يقدم الجسد الأنثوي بفروعه النوعية التي تفرض حضورها تأثراً بمصدر الإنتاج؛ أي الأنثى؛ إذ يتجلى المكون البيولوجي من خلال الجسد، بتكوينه الداخلي والخارجي، فيفصح عن حقيقته وتفرده. أما عندما يتناول السرد النسوي جسداً ذكورياً فإنه يتحدث عنه حديثاً نيابياً يفتقد حرارة الانتماء إليه[1]. إن السرد باستظهاره المكون البيولوجي، أو تقديمه المرأة البيولوجية ينشغل بالأنوثة، ويستظهر جغرافيتها بعناية.

في رواية "زرايب العبيد" تطالعنا شخصية "اسقاوة" اليتيمة، التي تواجه بواكير سن المراهقة بفطرتها الأولى، في غياب الأم والأخت اللتين تساعدان على استيعاب التحولات البيولوجية استيعاباً تاماً؛ لتبدو الفتاة الصغيرة محاصرة بتلك التحولات: "خافت خوفاً عظيماً من الزائر اللزج الذي فاجأها من أسفل"[2].

هنا يبرز دور الأنثى السردية في الوقوف على مناطق الخصوصية البيولوجية في الجسد الأنثوي، والكشف عنها بما يخدم السرد؛ لأن الأنثى السردية تقدم هذا الجسد "تقديم الخبيرة به، والملامسة لعوامل الألم والارتياح الطارئة عليه"[3]. وهذا ما يشف عنه السرد في شخصية "اسقاوة"؛ إذ نجد تحول الأنوثة من كونها منتجاً طبيعياً إلى كونها منتجاً نفسياً، تشكله التغيرات البيولوجية التي تمر بها هذه الشخصية، بالترافق مع غياب الصورة النمطية للعائلة في مجتمع زرايب العبيد.

*** – أفدنا في هذا التقسيم من الدكتور محمد عبد المطلب في كتابه "بلاغة السرد النسوي"؛ إذ إنه لاحظ من متابعته للسرد النسويّ أنّ الثقافة المركوزة في لاوعي الأنثى أنتجت أنماطاً أربعة للأنثى، هي: الأنثى المتمردة، والأنثى البيولوجية، والأنثى الثقافية، والأنثى المتلقية. ينظر: عبد المطلب، د. محمد. *بلاغة السرد النسوي – سلسلة دراسات نقدية*. ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007، 36-42.**

(1) – ينظر: أفاية، محمد نور الدين. *الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش*، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998، 35.

(2) – بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد. ط1*، دار الساقي، بيروت، 2016، 109.

(3) – الفران، د. سماح عبد الله. *ثقافة النص – قراءة في السرد اليمني المعاصر*. ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2016، 26.

تتلاحق الأسئلة في السرد على نحو مكثف؛ لتكشف بوضوح عن المكون البيولوجي في الأنساق النسوية: "عندما حان دور "اسقاوة" في الخضوع لعيني "امجاور" رأته يتحرى إبطيها وينزل مع الماء السائل إلى ما بين قدميها. كانت ثيابها تلتصق بجسدها الغض، ما دفع "امجاور" لحسد ثوبها القشيب ببعض كلمات سمعته يقولها لها اختلاساً وهو يتظاهر بمساعدتها على سكب الماء في الجرة الكبيرة. شعرت أن شيئاً غريباً يحدثه هذا الرجل الكبير فيها، فأطرقت حياءً وجرت مبتعدة، وقد أنساها الغزل أخذ سطلها وهي تهرب، فتبعتها به إحدى الفتيات إلى البئر. في انتظار الدور عند البئر، وشوشت "اسقاوة" إحدى رفيقاتها اللواتي يكبرنها عن لعاب "امجاور" الذي بللها من الداخل، فضحكت بتخابث وأذاعت الخبر بين سرب ناقلات الماء"[1]. إن تحولات مرحلة المراهقة تحتاج إلى عونٍ أنثويٍ لتوجيهها، وبالتحديد في مرحلة الانتقال إلى "اكتشاف الأنوثة بوصفها قيمة؛ والتعرف على الجسد، والاحتفاء به بوصفه مكوناً أساسياً من مكونات الهوية الأنثوية"[2]؛ لذا، فمن الطبيعي أن هذه المرحلة بتحولاتها تدفع الأنثى إلى التحدث مع أمها؛ لاستيعاب التغير الذي يحصل في جسمها. فالبطلة إذن، تصطدم بجدار المراهقة وحيدة، ولا تجد أمامها إلا أن تسرّ إلى أترابها الصغيرات بسرّها، وسرعان ما يفشين سرها واضطرابها على الملأ بدلاً من مساعدتها. فتبدأ بعد ذلك مرحلة التخييل؛ إذ تعيش مع وعيها التأملي الذي يتسلط على حاضرها بقوة: "تلك الليلة لم يجعلها المغص الحاد تنام، ولا رائحة الرجل التي تشمها في جسدها. استحضرت رجال الزرايب كلهم ممن دخلوا مرحلة الفحولة حديثاً، استعرضتهم عيناها في ظلام البراكة الدامس واحداً واحداً وكأنهم عسكر في كتيبة تأتمر بأمرها. كانت تفتش بينهم عن مثال، وقد قارب الصباح الظهور وهي تتردد ما بين هذا وذاك. لكن لا يروق لها إلا واحداً(...) وهو الذي يلمس الآن داخلها البكر"[3].

إذا أنعمنا النظر في عملية التخييل في المقطع السابق، نجدها تكشف تحولات شخصية "اسقاوة" التي أصبحت تمارس دور الرجل. فصورة اصطفاف رجال الزرايب في كتيبة تشبه صورة اصطفاف الفتيات أمام عيني "امجاور"، وهنّ يملأن الماء، وهو يملأ عينه من أجسادهن الغضة الفتيّة، ويفتش لنفسه عمّن تروق له منهنّ. وهذا التخييل يكرس نوعاً من الانتقام في لا وعي البطلة، وهو ما يفسره "فرويد" بالغيرة من الذكورة[*]. هكذا تقابل هذه الفتاة الضعيفة سيطرة "امجاور" الذكورية التي تتملك كيانها منذ أن أسرتها نظراته لجسدها عندما كانت تملأ الماء من البئر. وقيادة العسكر تقترن رمزياً بالقوة والرجولة. وبذلك يقلب السرد النسوي هنا ميزان القوة الطبيعي، ويعبر عن رفضه للسلطة المبنية على أساس بيولوجي.

لقد لاحق السرد "اسقاوة" في مرحلة فارقة ومؤثرة في سلوكها، هي مرحلة (البلوغ)، متتبعاً تحولها البيولوجي الذي انبثق عنه تحولات نفسية كثيرة وضاغطة على تفكيرها، تحكم تصرفاتها وخيالاتها: "بينما "اسقاوة" تفتح عينيها الحالمتين في ظلام الزريبة(...) تلتقط بوضوح أصواتاً غريبة مصدرها شيء خفي بين أضلعها يسألها عن أمها وأبيها وأخوتها، يسألها إن كانت لها عائلة كتلك الي يكون "امجاور" ربها(...) استمر الخاطر يجلب غيره من الخواطر حتى حملت من امجاور ذات يوم"[4]. وتأتي هذه النهاية هنا، في إشارة إلى الربط بين افتقار البطلة إلى الصلة البيولوجية، وضياعها

---

[1] – بن شتوان، نجوى: *زرايب العبيد*، 110، 111.

[2] – إبراهيم، د. عبدالله. *السرد النسوي*. المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 2011، 217.

[3] – بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد*، 115، 116.

[*] – وهو ما يسميه فرويد "حسد القضيب"؛ إذ لا تمانع الفتاة الصغيرة في القبول والاعتراف بوجود جنس مغاير لجنسها، عندما يقع نظرها على عضوه التناسلي للمرة الأولى، لكن هذا الحسد يحرك فيها رغبة بالغة الأهمية في نتائجها لاحقاً، في أن تكون بدورها صبياً.
ينظر: فرويد، سيغموند. *ثلاثة مباحث في نظرية الجنس*. تر: جورج طرابيشي. ط2، دار الطليعة، بيروت، 1983، 69.

[4] – بن شتوان، نجوى: *زرايب العبيد*، 116، 117.

النفسي، ثم نزعها حجب الكبت الجنسي بعلاقة جسدية خارج مؤسسة الزواج، حين لم تلق من يروض قياد غرائزها من أم أو أب. فانكشفت الستائر، واستُغِلت البنت؛ نتيجة غياب المسؤولية والرقابة في زرايب العبيد.

تظهر الأمومة في أقسى أوضاعها في "زرايب العبيد"، وتُقلّب على وجوهها. فالروائية "نجوى بن شتوان" تقدّم أوضح الأمثلة على أن الأمومة تستحيل في زمن العبودية إلى كرب وبلاء؛ إذ يموت طفل الأَمَة السوداء "تعويضة" أمام عينيها، عقاباً لها بعد أن سهت عن قطعة لحم، فأكلتها القطط، في مقطع ينم على وقوع حياة أطفال العبيد تحت رحمة أمزجة الأسياد وأهوائهم[1].

لكنّ المرأة التي فُطرت على غريزة الأمومة، تسعى إلى تعويض فقدانها طفلها برعايتها طفلاً آخر وضعه القدر أمامها، أبيض بعينين زرقاوين. فتنقذه وتهرب به بعيداً عن الماخور. ربما أرادت الكاتبة إظهار تسامي العبدة السوداء "تعويضة" على اللون، وترفّعها عن الحقد؛ لأنها تحمل على عاتقها خطيئة الرجل الأبيض مرة تلو الأخرى: "دورة الزمن غريبة وحزينة: غادرت من دون طفلها الحقيقي، وعادت بطفل ليس لها!"[2]؛ وبذلك يتوسع مفهوم الأمومة عند المرأة السوداء إلى أن يتجاوز الروابط البيولوجية التقليدية، في شكل من أشكال تحدي الإرادة العنصرية التي تتحكم بمصيرها، وتجردها متى تشاء من أبسط حقوقها الإنسانية.

تضحي "تعويضة" بحياتها لإنقاذ وثيقة تحرر ابنتها "عتيقة" من العبودية، لتعيش مأساة فقد الأم مرتين؛ مرة حين تعيش طفولتها وصباها محرومة من ذلك الرابط الذي يحسه الإنسان تجاه أمه، وهو لا يقدر بثمن، ومرة أخرى حين تدرك أن عمتها "صبرية" هي أمها الحقيقة/ البيولوجية؛ أي "تعويضة"، لكن بعد فوات الأوان؛ إذ تموت عمتها محترقة بنيران العبودية أمام عينيها: "صرت فعلاً يتيمة، فقدت جذوري في الحياة في اللحظة التي عرفت وأنا أفقدها أنها كانت أمي طوال العمر وليست عمتي، وأنها خبأت نفسها لتخبئني هروباً من الأذى وخوفاً علي من شرور الخلق. كانت أمي التي دخلت نيراناً كثيرة من أجلي[3]"؛ وبذلك تعيش "عتيقة" اليتم الكامل بمعانيه كلها، بالنظر إلى غياب الأب العاجز عن الدفاع عن حبه وعن أبوته، المهزوم أمام سلطة التقاليد وسطوتها، وتفتقد بذلك أهم لفظتين تشيران إلى الروابط البيولوجية: أمي، وأبي.

ب–المكون السوسيولوجي:

لا شك في أن الأنثى محاصرة "بالواقع الاجتماعي، بكل مكوناته وأعرافه وتقاليده"[4]؛ إذ يدأب السرد النسوي على كشف المواضعات الاجتماعية التي تحكم الطوق على المرأة في المجتمع البطريركي، فيظهر لنا دور الأنساق الاجتماعية في تشكيل المكونات الشخصية أو الداخلية للأنثى، والتحكم في سلوكها وحضورها في المجتمع؛ لذا تتصدى الدراسات النسوية لإضاءة جوانب القهر المرتبطة بحياة الأنثى منذ أن تفتح عينيها على الحياة إلى حين الممات.

يطالعنا السرد في رواية "زرايب العبيد" للكاتبة "نجوى بن شتوان" على بعض الممارسات التي تُفرض على الأنثى منذ طفولتها، بالتزامن مع إرهاصات الأنوثة الأولى، وارتسام بواكيرها؛ إذ تواجه الطفلة جملة من النواهي التي تحاصرها. ومن هذه الممارسات يستوقفنا طقس "التقفيل" الذي يتصدى فيه المجتمع لوسوسة الشيطان عند الأنثى، ويسكت فيه صوت الغريزة الجنسية: "توالت التمرات بما فيها من دود إلى فمي، وتوالت الحيطان والخيطان في الارتفاع والتمدد بيني

---

[1] – ينظر: المصدر السابق، 254.

[2] – المصدر السابق، 313.

[3] – المصدر نفسه، 168.

[4] – الفران، د. سماح عبد الله. *ثقافة النص قراءة في السرد اليمني المعاصر*، 26.

وبين دنيا الغرائز حتى بلغت سبعة فضاءات طباقاً. كنت أبتلع الدود وأتخيل "امجاور" العبد بأسنانه البيض، وسواده الماحق وبروز شفتيه، يخاطر للدخول بيني وبين الحيطان المرتفعة"[1].

إن أول ما يتبادر إلى الذهن في الإجراء السابق هو استناده إلى آلية التفاضل بين الذكر والأنثى؛ فالعيب يحاصر الأنثى فقط، أما الذكر فلا يعيبه شيء. وخاصة أن الثقافة السائدة في المجتمع تحيل على اتهام الأنثى بوصفها مصدر الخطيئة، ومستودع الغواية، وتجعل منها معيار العفة والشرف؛ لذا نجد أن الأنثى تعيش في حالة خوف وقلق دائمين من الوقوع في الخطأ، مقابل حالة الاستقرار التي يحياها الذكر.

كما تبرز "نجوى بن شتوان" معاناة الشخصيات النسائية من الضرب الوحشي؛ إذ تفتقر الأنثى السوداء، بصورة خاصة، إلى الحماية من العنف المتعلق بجنسها أو عرقها. ففي المشهد الذي تسهو فيه "تعويضة" عن قطعة اللحم، تتدخل ابنة السيد لتشفع لها عند أبيها، غير أن رد الأب على ابنته كان عنيفاً، كما تخشى الزوجة على نفسها من حدوث الطلقة الأخيرة التي تحرّمها على زوجها إن هي تدخلت، وتعلّق "تعويضة" كالذبيحة دامية في الحمام، لمجرّد أن القطط أكلت لحم الوليمة المعدّة لأعيان الحي وشيوخه[2]؛ وبذلك يستحيل السرد إلى نوع من التنفيس عن القهر الممارس على المرأة اجتماعياً؛ إذ تتصدى الكاتبة إلى طوق المجتمع القبلي الليبي، الذي يستمد شرعيته من الموروث الاجتماعي؛ لتصبح الأنثى السوداء بذلك ضحية التسلط الأبوي، والتسلط العرقي في آن معاً.

جـ_ المكون الثقافي:

تتدخل الثقافة في تشكيل وعي المرأة، وهذا الوعي يختلف عن وعي الرجل، باختلاف الفرضيات الاجتماعية المسلطة عليهما، ويأتي تمرد الأنثى على واقعها مؤشراً على ازدياد وعيها الثقافي[3]. في الحديث عن المكون الثقافي للمرأة يظهر السرد انتفاضتها على الإقصاء والتهميش، وتقويم المسار الاجتماعي بما ينصف وجودها وكينونتها، أو، على العكس من ذلك، قد يظهر ركونَها إلى ضعفِها وتهميشِها، وبقاءها مغلوبة على أمرها، في حاجة دائمة إلى حماية الذكر. وفي كلتا الحالتين فإن المكون الثقافي يجيء نتاجاً حتمياً للمكونين السابقين: البيولوجي، والاجتماعي.

في رواية "زرايب العبيد" نجد ثقافة العبيد المشبعة بالخرافات والأساطير، وهي في جزء كبير منها لا تخرج عن كونها صناعة المجتمع الذي يسعى قدر استطاعته، إلى إحكام طوق العبودية وتقويته. فالأمة السوداء "تعويضة"، التي حصلت لابنتها على كاغدها الشرعي[*]، بوصفها بنت رجل أبيض حر من سادة المجتمع، سعت بنفسها لتطبق على ابنتها، ما يفرض على الفتيات الحرائر وحدهن من قواعد المجتمع؛ إذ سرعان ما تنضم إلى قافلة الأمهات المتسابقات سباقاً محموماً؛ للوقوف على الطابور الطويل؛ لحراسة التقاليد البالية، وتزكية الخرافات التي تسيطر على العقول، من خلال تقفيل أرحام البنات، منعاً من الاغتصاب، وإخضاع بناتهن لقبضة السلطة الاجتماعية.

ويمكن القول: إن استلام الأم السلطة الاجتماعية، وممارستها على أتم وجه ضد ابنتها، هو بمنزلة تقديم فروض الطاعة للثقافة البطريركية التي نشأت عليها، "فهي رائدة الانكفاء على الذات والتمسك بالتقاليد، وضعيتها تمثل أقصى

---

[1] – بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد*، 64، 65.

[2] – ينظر: المصدر السابق، 253، 254.

[3] – ينظر: الفران، د. سماح عبد الله. *ثقافة النص قراءة في السرد اليمني المعاصر*، 26.

*** – وثيقة النسب.**

– ينظر: بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد*. 11.

درجات التماهي بالمتسلط، من خلال ما تعانيه من استلاب"[1]؛ وبذلك فإن القهر الاجتماعي المتوارث الذي تعيشه الأم في مجتمع "زرايب العبيد" يستظهر شخصية الأنثى النمطية المطواعة التي تسير على وفق الخط الاجتماعي الذي اختطته السلطة الاجتماعية.

إن لضعف النساء وجوهاً كثيرة، والسلطة الاجتماعية ترسّخ هذا الضعف أكثر، بل إن المرأة الأم غالباً ما تعيد الكرّة في قهر الأنثى عبر ابنتها، وهي بذلك تعيد إنتاج السلطة الاجتماعية بما يفسره "لاكان" و"جوليا كريستيفا" بعملية اللاوعي[2]، بوصفها نتاجاً للتمثل الجمعي للأبوية القائمة على مرتكزات دينية، وثقافية، واجتماعية، واقتصادية متوارثة، والتي لها أثر كبير في صناعة هذه الهيبة على النحو الذي نجده في مجتمعاتنا العربية[3].

تأتي أهمية التعليم بالنسبة إلى الأنثى المطحونة المقهورة التي ترزح تحت مختلف أشكال العبودية في المجتمع الليبي بمنزلة "طوق النجاة من تلك العبودية، وتحكم الرجل في مصير المرأة"[4]. تروي الساردة استعدادها لحياة جديدة لا تشبه تلك التي عاشتها أمها بقولها: "إنها تجمع المال كي ترسلني إلى مدرسة محو الأمية عند بنت فليفله وأشرع عبر التعليم فى تغيير شكل مستقبلي قبل أن أكبر"[5]. ثم تعود في وقت لاحق إلى ترسيخ الرسالة، أو رؤيا الخلاص، لتؤكد أن التعلم هو بوابة العبور نحو عالم مختلف: "نُومت الحقوق قروناً قبل أن تتعلم المرأة القراءة، وتبحث لذاتها عم ينقصها في عوالم أخرى ليس بها مواصفات الذكر المحلي، ولتدرك حقها في المتعة"[6].

والسرد هنا يحيل على فسحة أمل مقترنة بنور العلم؛ لتحقيق انتفاضة المرأة السوداء، وانتشالها من عالم العبيد، من خلال شحنها بنوازع التمرد والثورة على الذهنية الذكورية، واتخاذها طريقاً مغايراً تشقه بنفسها، غير ذلك الذي رسمه لها المجتمع، وذلك شكل من أشكال تمرد المرأة في مجتمع يسعى إلى تكريس صورة قاتمة متخلفة لها.

د- المكون الأنثروبولوجي:

وهو المكون الذي يرتبط بالعبودية القائمة على التمييز اللوني في هذه الرواية؛ أي اضطهاد المرأة للونها، وليس لنوعها الاجتماعي؛ إذ يشير السرد إلى ارتباط البشرة السوداء في رواية "زرايب العبيد" بالعبودية، بينما يبرز بياض البشرة بوصفه عنواناً للحرية، والسيادة، والتوفيق الإلهي، والتميز، والاستعلاء الاجتماعي، كما نرى في هذا المقطع: "لم يع عقلي سوى أن الأحرار هم ذوو البشرة البيضاء(...) إنني لا أحقد على تميزهم عنا في اللون والمأكل والملبس والمسكن والرزق وكل حظوظ الحياة، بل إن إعجابي بنظافة ثيابهم ودورهم وصدقاتهم التي يمنحوننا إياها يجعلني أفرغ نفسي للإعجاب والامتثال بهم واتباع سننهم في العيش. لست أدري لمَ هم السادة ونحن الخدم." [7] .

---

[1] – حجازي، د. مصطفى. *التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور المركز الثقافي العربي. ط9، بيروت، 2005*، 199.

[2] – ينظر: سلدن، رامان. *النظرية الأدبية المعاصرة*، تر: جابر عصفور. ط1، دار قباء، القاهرة، 1998، 197.

[3] – ينظر: الشريم، عدنان علي. *الأب في الرواية العربية المعاصرة*. ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، 19.

[4] – رمضان، نبهان. كتابات الأظافر الطويلة– دراسة تطبيقية لثلاث روايات لمبدعات (زرايب العبيد، 104 القاهرة، المختلط)، موقع مصر المحروسة الألكتروني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 08 يوليو، 2017.
<http://misrelmahrosa.gov.eg/NewsD.aspx?id=50730>

[5] – بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد*، 24.

[6] –المصدر السابق، 164.

[7] – المصدر نفسه، 49.

يشير المقطع السابق إلى القيمة السلبية الانتقاصية للسواد في الرواية، وربطه بسوء المأكل والملبس والمسكن. ومما لا شك فيه أن شعور البطلة بالدونية ليس طبيعة فيها، إنما جاء نتاجاً لتحكم الأنساق الثقافية[1*] في المجتمع، في سلوك أفراده وتصوراتهم. فهذه النظرة الدونية لا تأتي من فراغ، إنما يكرسها المجتمع والقائمون على أمور الدين فيه، بإضفائهم الشرعية على التمييز اللوني فيه: "طاردتني سمرتي المنبوذة من أهالي بنغازي غير السود. حتى الذين هم للسمرة أقرب من البياض حق لهم رفض سوادنا الغريب عن الساحل البحري الأبيض"[2].

إذا كان البيض هم الذي يغرسون في نفوس السود شعور الاغتراب عن المجتمع والإنسانية، فإن السود يرَون أن قيمة وجودهم يمنحهم إياها البيض أنفسهم. فالحب الذي يجمع بين الجارية "تعويضة" وسيّدها "محمد الصغير" يمنح هذه العبدة شعوراً بالانعتاق النفسي، بل إنه يقلب ميزان العبودية: "لم أعد أشعر بأني جارية تسرّي عن سيدها، فأنا الأخرى أتسرّى به، وهذه المساواة الإلهية في الشعور تمنحني القناعة الكاملة بأنني وهو واحد. في الحب هو عبدي أكثر مما يبدو العبد العادي. محمد معي رجل آخر ليس الذي ترونه"[3]. فالحب يمثل بالنسبة إليها نضالاً ضد الموت الذي تواجهه يومياً في عبوديتها. إنها تحاول إشباع حاجة كبيرة ترتبط بإحساسها وبكيانها وبوجودها، فترحب ترحيباً حاراً بكونها مشتهاة جنسياً. وعلى الرغم من أن هذا الأمر يعزز نظرة السيد إلى الجارية بوصفها بؤرة تلذذ جنسي لا غير؛ أي ليس كما ترغب هي في أن تُرى بوصفها كياناً بشرياً متكاملاً، فإن علاقتها بـ "محمد" تنصف إحساسها بأنوثتها وكيانها؛ لأنها الفضلى ليس فقط بين الجواري، بل لأنه يفضلها على زوجته البيضاء.

وثمة نوعٌ خاصٌ من المعاناة النسوية تتعرض له العبدة السوداء في طقس البيع في السوق؛ حيث يبرز مشهد بيع "عتيقة" في سوق العبيد بوصفه من أكثر المشاهد تأثيراً في الرواية، فلا يفارق ذاكرة القارئ التحرش الذي تلقاه من جانب بائعين هائجين، يمسكون بعوراتها ويضغطون عليها بدافع التحرش، أكثر مما هو بدافع الفحص الصحي لها، بصورة تضع المرأة السوداء أكثر من أي امرأة أخرى، في دائرة التشييئية والاستهلاكية: "على الفور تقدم إليها بدوي كان جالساً على الأرض ينهش قطعة خبز بجانب حماره. قبض ثديها وهو يمضغ الخبز بقوة تهز شنبه الكثيف، هصر الثدي مرتين لغرض الشد وليس الشراء. كانت تدرك أن معظمهم يفعل ذلك بقصد الشد فقط، فوجود الجواري في السوق متنفس لكل من يؤم السوق للفرجة"[4].

ثانياً: العبودية النسوية في رواية "رحمة" لـ "توني موريسون:

ترمي "توني موريسون" في رواية "رحمة" إلى استكشاف جذور الاستعباد، وأصله الحقيقي في أمريكا، وذلك بالعودة إلى القرن السابع عشر؛ إذ لم يكن الاستعباد قد ارتبط بالعنصرية قبل ذلك الوقت[5]؛ وبذلك تحاول "موريسون" رفع

*** – يعرف الغذامي الأنساق الثقافية بقوله: إنها أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائماً. وهي أنساق تظهر في كيفية استهلاك المنتج الثقافي العربي منذ القدم. وتجدر الإشارة إلى أن النسق لا يتحرك على مستوى الإبداع فحسب، بل إن القراءة والاستقبال لهما دور مهم وخطير في ترسيخ النسق. ولقد اهتم الغذامي في تأسيس مفهومه عن "الأنساق الثقافية"، من حيث هي "آليات الهيمنة، من خطط وقوانين وتعليمات، كالطبخة الجاهزة، التي تشبه ما يسمى بالبرامج في علم الحاسوب، ومهمتها هي التحكم بالسلوك"**

– الرويلي، د.ميجان– البازعي. سعد: *دليل الناقد الأدبي*، 310.

– الغذامي، عبد الله: النقد الثقافي. *قراءة في الأنساق العربية*. ط1، بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000، 74.

[2]– بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد*، 59– 60.

[3] – بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد*، 192.

[4] – المصدر السابق، 236.

[5] – To be seen: Wang, Y. *Morrison's Black Feminist Discourse in A Mercy*, Changchun University of Science and

الغطاء عن أصل العنصرية؛ إذ من غير المعقول هذا الربط الجائر بين العرق الأسود والعبودية. وهذا ما تحاول أن تضع يدها عليه في الرواية .

1- مكونات الأنثى عبر السرد:

أ- المكون البيولوجي:

كما أشرنا فيما سبق، فإننا نتعرف في هذا المكون على الأنثى بمحتواها الأنثوي المجرد إذا جاز التعبير؛ أي بخواصها البيولوجية المحايدة.

يبرز دور الأنثى السردية في رواية "رحمة" في الوقوف على مناطق الخصوصية البيولوجية في الجسد الأنثوي، والكشف عنها بما يخدم السرد؛ إذ يبدو ذلك جلياً من خلال الحديث عن البروز السريع لصدر الفتاة الصغيرة، بوصفه عنوان الأنوثة، وأول تباشيرها، في رسالة الأم التي تبوح بها في نهاية الرواية، بكل خفايا اضطرارها لبيع ابنتها، وتطلب الغفران منها: "لن يريد أي منهما أخاك. أعرف أذواقهما. يوفر الثديان لذة أكثر من أشد الأمور بساطة. وثدياك يبرزان بأسرع مما يجب، ويزعجهما القماش الذي يغطي صدرك"[(1)]. يقدّم السرد هنا هذا التحول البيولوجي، بوصفه علامة تحيل على ضعف هذه المراهقة السوداء في مواجهة الرجال المتربصين؛ وبذلك تتذر فترة المراهقة بتحول الأنوثة من كونها منتجاً طبيعياً إلى كونها منتجاً نفسياً، تشكله التغيرات البيولوجية التي تمر بها هذه الشخصية. فعلى هذه الفتاة، من الآن فصاعداً، أن تتهيأ للرجال الذين يتربصون بالمراهقات الحديثات العهد مثل تربص قطيع من الذئاب بنعجة صغيرة.

لقد لاحق السرد "فلورنس" في مرحلة فارقة ومؤثرة، هي مرحلة (البلوغ)، متتبعاً تحولها البيولوجي الذي يحكم تصرفاتها وخيالاتها، في ظل افتقادها للدفء العائلي؛ لأنّ أمها تضطر إلى أن تبيعها إلى السيد الأبيض "جيكوب"، فيتملكها شعور حاد بالهجران بقية حياتها، وتسقط دون سيطرة في الشهوة مع رجل أسود حرّ، هو الحدّاد الذي يبني بوابة بيت السيد "جيكوب": "لمعان الماء يجري هبوطاً في عمودك الفقري وأنا مصدومة من نفسي لأني أريد أن ألعق تلك البقعة. هربت إلى حظيرة البقر لكي أمنع هذا الأمر من الحدوث داخلي. لا شيء يوقفه"[(2)]. إنّ "فلورنس" وقعت في أول حفرة رجالية صادفتها، فهي "لم تقابل أباها مطلقاً، و لم يسبق لها أن لعبت مع صبية من عمرها من قبل؛ لذا فهي لم تعرف ذكراً يمكن أن يجعلها تشعر بأنها سعيدة أو بمأمن؛ لهذا من الطبيعي أن تشعر باللهفة لمجيء الحداد للعمل في المزرعة، وأن تقع في حبه في الحال"[(3)].

على الرغم من أن اللقاء كان قصيراً، فإن "فلورنس" تملأ وحدتها باستمرار في عملية تخييل تستجيب فيها لميولها، وتنتصت لوجدانها الحالم. وهذا يبرز حاجة بيولوجية ماسة إلى الدفء العاطفي، في شطحات تشغل أحياناً، بضع صفحات: "امتلأت السماء بالكثير من النجوم، حتى بدا المشهد أشبه بالنهار...أفضل التفكير في ذلك المكان تحت فكك، حيث يلتقي عنقك بالعظم، انحناءة صغيرة بما يكفي لرأس اللسان...أعرف أنه لا يمكنك أن تسرقني أو تتزوج بي. فأي منهما ليس مباحاً. ما أعرفه أنني ذويت عندما رحلتَ، واستقمت حين أرسلتني سيدتي إليك"[(4)].

Technology, China, 2015, 236.

(1) – Morrison, T. *A Mercy*. 1st ed, Alfred A. Knopf Books, New York , 2008, 142.

(2) – Morrison, T. *A Mercy*, 38.

(3) – Ambarastuti, M. Rahaya. *Toni Morrison's A Mercy: The Black Woman Slaves' Struggle to Gain Freedom in America in The 1600s*, Santa Dharma University, Yogyakarta, 2010, 28.

(4) – Morrison, T. *A Mercy*, 94-96.

تُظهر رواية "رحمة" الأمومة في أقسى أوضاعها، فتستحيل في زمن العبودية إلى همّ مضنٍ مؤرق؛ إذ إن انتزاع الطفلة "فلورنس" من أمها يأتي تكريساً لتشييء المرأة السوداء، والتعامل معها بوصفها بضاعة تباع وتشترى. لقد "أثبتت تجربة الأمهات العبيد في الأمومة أنها أكثر إيلاماً؛ إذ إن قدرتهن على حمل الأطفال، جعلت منهن ضعفاء بشكل خاص، فضلاً عن حياتهن الجنسية في نظام العبودية"[1].

إن "العلاقة بين الأمهات والأطفال تشكل أهمية مركزية في إنتاج "توني موريسون " الروائي، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن هذا الموضوع، قد أهمله كثير من المؤلفين السود منذ فترة طويلة، حتى أصبحت المسؤولية ملحة بشكل خاص في سياق الحديث عن الأمومة، عندما تظهر موريسون مدى تعقيد تجارب النساء السود بوصفهن أمهات"[2]. فالرواية توضح تعقيد مفهوم الأمومة، من خلال تخلي الأم البيولوجية عن ابنتها، وتكبدها الآلام الروحية والنفسية باضطرارها إلى ذلك الفراق.

تعُد الأم تخليها عن ابنتها نوعاً من التضحية؛ إذ إنها طلبت من السيد أن يستبدلها بابنتها لما فيه خير لها: "قلت أنت، أن يأخذك أنت يا ابنتي؛ لأنني شاهدت الرجل الطويل ينظر إليك بوصفك طفلة، وليس مجرد قطع نقود إسبانية. ركعت أمامه آملة حصول معجزة، وقال: نعم"[3]. لقد رأت الأم في عيني السيد أنه إنسان، ينظر إلى ابنتها بصفتها الإنسانية. ومنذ ذلك اليوم كانت ترجو أن تتفهم ابنتها ما تعرفه، وتتوق إلى أن تعرفه ابنتها أيضاً، إلا أن ابنتها لم تغفر لها ما فعلته.

ومن نافلة القول الحديث عن غياب الأب في حالات الاغتصاب؛ إذ إن اليتم المعنوي الذي تعيشه البطلة لا يقتصر على افتقادها الأم البيولوجية، بل إنها تفتقد أيضاً لفظة "أبي" منذ أن خرجت إلى الحياة، وكثيراً ما تقدم سرديات العبودية النسوية شخوصها (من الجنسين) مقطوعي النسب: "لا أعلم من منهم والدك، كان المكان مظلماً، فلم أر أياً منهم"[4].

من هنا كان من الطبيعي أن يتوسع مفهوم الأمومة إلى أن يتجاوز الروابط البيولوجية التقليدية بين الأمهات والأبناء. "كما هو شائع في الأدب الأفريقي الأميركي، يمكن أن تكون الأمهات ممثَّلات من خلال الجدات، والصديقات، وحتى نساء الجوار"[5]. السرد في رواية "رحمة" يقدم لنا الشخصية المحورية "فلورنس" تحت رعاية "لينا"، التي تقوم بدور أمها البديلة. وهذا يبدو جلياً عندما تكون فلورنس وحيدة؛ لأنها كانت تفتقد "لينا" كثيراً بدلاً من أن تفتقد أمها: "أشتاق إلى النوم إلى جانب لينا في زلاجة الجليد المكسورة"[6]، كما كانت تظهر حاجتها باستمرار إلى هذه الأم البديلة، عندما كانت كانت في مهمتها إلى الحداد: "أنا أحتاج إلى لينا؛ لتقول لي كيف أحتمي في هذه البرّية"[7].

- (1) **Eckard, P. G. *Maternal body and voice in Toni Morrison*, University of Missouri Press, Columbia, 2002, 18.**

– (2) **Fontes O. N. *Motherhood in Toni Morrison's Sula and A Mercy- rethinking mothering*, The Federal University of Mato Grosso do Sul, Brasil, 2015, 68.**

– (3) **Morrison, T.*A Mercy*, 145.**

(4) **– المصدر السابق، 142.**

– (5) **Fontes O. N. *Motherhood in Toni Morrison's Sula and A Mercy- rethinking mothering*, p 78.**

– (6) **Morrison, T. *A Mercy*, 12.**

– (7) **Morrison, T. *A Mercy*, 41.**

من خلال قيام "لينا" بالدور المذكور، يبرز السرد أن مفهوم الأمومة "لا يمكن اختزاله إلى الوظيفة البيولوجية"[1]، فيتحدّى بذلك الصورة النمطية لها، ويشير إلى توسع مفهومها الذي يتم حصره بالوظيفة البيولوجية في المجتمع الأبوي.

ب–المكون السوسيولوجي:

تظهر "موريسون" في رواية "رحمة" وقوع جميع النساء في المشهد الروائي الذي تقدمه، تحت سياط العنف والاضطهاد بسبب جنسهن الاجتماعي؛ إذ تلخص والدة "فلورنس" ألم المرأة من خلال هذا التعميم الصادم: "إن كونك أنثى في هذا المكان أشبه بكونك جرحاً مفتوحاً لا يمكن أن يندمل. حتى لو تشكلت الندبة، فإن التقيح يبقى دائماً في الأسفل"[2]. وبعبارة أخرى، يتم تقديم أنموذج المرأة في أمريكا الاستعمارية في وقت مبكر عن طريق الصدمة والاضطهاد، حيث تصور "موريسون" العنف الشائع، والمثير للقلق الذي تواجهه المرأة على يد الرجال في أمريكا في القرن السابع عشر، بإبرازها معاناة الشخصيات النسائية من الضرب الوحشي والعنف الجنسي على مدار الرواية، في ظل تغاضي المجتمع الذكوري عن ذلك. فعلى الرغم من أن السيد الأبيض "جاكوب" لا يضرب زوجته "ريبيكا"، فإنها تشير إلى أن ضرب الزوجة في أمريكا الاستعمارية، "هو أمر شائع، لكن شريطة أن يكون ذلك قبل الساعة التاسعة ليلاً، وبوجود سبب حقيقي؛ أي ليس بدافع الغضب. وهذا ينطبق على الزوجات فقط"[3]؛ وبذلك فإن "موريسون" تحاول أن تلفت الانتباه إلى إلى أن المجتمع الأمريكي في القرن السابع عشر قد قام بإضفاء الشرعية على العنف المنزلي ضد المرأة. وعلاوة على ذلك، فإن القانون لا يتضمن أي حماية للمرأة غير المتزوجة. وهذا ينطبق كلياً على وضعية المرأة السوداء آنذاك، فهن معرضات، بوجه خاص، للعنف والاعتداء.

إن مقاربة السرد في نص "رحمة" تظهر نقد الثقافة الأبوية في هذا النص، التي تكرس انسحاق الأنثى في بيئة اجتماعية ذكورية، نكاد لا نجد فيها فارقاً بين الرجلين: الأسود والأبيض، من حيث الاستعلاء على المرأة، وفرض سلطته عليها. وهذا ما نلحظه في ترفع الحداد عن "فلورنس"؛ إذ يُدخل السرد أنثاه "فلورنس" في سياق العلاقة العاطفية، ويبرز انخداعها في بحثها عن الحب الصادق، من خلال استدعائه علاقة الرجل بالمرأة خارج النسق العرقي، فالأنثى السوداء تتجرع المرارة من ابن جلدتها، وليس من رجل أبيض؛ إذ يقابل الحداد شغف "فلورنس" به بالصد والرفض، كما يتضح في مشهدهما الأخير[4].

إن "موريسون" تقدم صورة غير نمطية للاسترقاق في علاقة "فلورنس" بالحداد، فالاسترقاق يمكن أن يتخذ أشكالاً عديدة تتجاوز الدائرة العرقية. فالفتاة السوداء "عبدة" لرغبتها في الحداد؛ أي ليس بمعنى الاستعباد الحرفي من مالكها. وإذا كان " قهر الرجل للمرأة هو صورة من صور انقهاره هو في مجتمع قاهر"[5]، بحيث "يتناسب القهر الذي يفرض على المرأة مع درجة القهر الذي يخضع له الرجل في المجتمع"[6]، فإن الحداد الأسود، ينبذ عبودية المشاعر التي تعيشها "فلورنس"، أو إنه يعوض قهره ومهانته زمن عبوديته، ويؤدّي دور السيد الذي لا يأبه لمشاعر عبده؛ لذا كان

– [1] Joseph, G. *Black mothers and daughters- their roles and functions in American society*, South End Press, Boston, 1981, 83.

– [2] Morrison, T. *A Mercy*, 143.

[3] – المصدر السابق، 86.

– [4] Morrison, T. *A Mercy*, 215, 216.

[5]– قطب، سيد محمد السيد؛ وآخرون. *في أدب المرأة*. ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 2000، 113.

[6] – حجازي، د. مصطفى. *التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور*، 202.

حبها محكوماً بالإخفاق بسبب عدم التكافؤ في المعنويات بينهما. وهذا يفسر "تضاعف قلقها عندما علمت من سيدتها أنه رجل حر. لديه إذاً حقوق وامتيازات كالسيد، يمكنه أن يتزوج، ويتملك"[1].

وهكذا فإن السرد يستبطن هنا القهر المرير الذي تكابده الذات الأنثوية، في محاولة لاستيعاب قضايا المرأة السوداء ومشكلاتها الاجتماعية، ومقاربة وضعيتها المتدنية تجاه الاستعلاء الذكوري بصورة عامة، وإضاءة التهميش الذي تعيشه من زوايا متعددة، بما في ذلك المشاعر والأحاسيس.

جـ-المكون الثقافي:

إن التغيرات البيولوجية التي تطرأ على الفتاة الصغيرة تترافق مع حالة قلق بالغ تعيشها الأم التي تعرضت للاغتصاب وللبيع، وأنجبت ولدين لا تعرف أباهما. ففي ثوب العبودية تصبح صفات الأنوثة التي تم تكريمها منذ مدّة طويلة في الثقافات جميعها لعنة خاصة للعبدة الأنثى؛ لأن هذه السمات غالباً ما تؤدي إلى الاعتداء الجنسي من المالكين، أو المشرفين، أو العبيد الذكور.

من هنا نجد قلق الأم من رغبات ابنتها الحالمة بمراهقة وردية مثل سائر أقرانها؛ إذ إن "فلورنس" المولعة منذ صغرها بالأحذية والكعب العالي، لم تكن تطيق أن تلامس أقدامها عراء الأرض. والكعب العالي بصورة عامة يرتبط بالأنوثة الفطرية، من خلال إكساب الأنثى قدراً وفيراً في طول القامة والإغراء، ومنحها ثقةً بنفسها، بوصفه وسيلة من وسائل إظهار الغندرة وتصنّع الأنوثة. لكن الأم تعجز عن تحقيق حلم ابنتها، وتعي تماماً أنها ستكبر ولن يرحمها الآخرون، وهم يعاينون أنوثتها تنضج سريعاً: "مع إصابتك بآفة الأحذية. بدا الأمر كأنك تستعجلين ثدييك وتستعجلين أيضاً ما تنطقه شفاه عجوزين متزوجين"[2]. نلحظ في خطاب الأم اعتماد لغة الحوار والنصيحة، وشرح وجهة نظرها في أن تتريث ابنتها، وتسلم قياد مظهرها الأنثوي لدورة الزمن الطبيعي؛ فلكل شيء أوانه، ومن الأفضل لهذه المراهقة الصغيرة أن تتجنب استقطاب نظرات الرجال، وإثارة غرائزهم. إن الأم هنا تراقب رغبات ابنتها، وتأسف لعجزها عن حمايتها من أعين الرجال، لكنها لا تفرض عليها ما ينبغي فعله بلهجة آمرة.

إن العلاقة المباشرة بين محو الأمية والحرية هي مصفوفة موضوعاتية تثبت حضورها في جميع الروايات الرئيسة حول الحرب ضد العبودية، فمما لا شك فيه أن الآخر الأبيض كان يعتقد أنه من الخطر أن يتعلم العبد القراءة والكتابة؛ لذا فإن درب الوعي والتنوير الذي يفضي إلى الحرية مزروع بالأشواك البيضاء: "أملت أننا لو تعلمنا الحرف فستتمكنين يوماً ما، بطريقة ما، أن تشقي طريقك"[3].

فالبطلة السوداء هنا تؤمن بأن العلم هو الطريق الذي يجب أن تسلكه ابنتها، فخلاصها إذاً في القراءة؛ لتشق طريقها وتقهر ظروفها، وتزداد وعياً بمحيطها الاجتماعي، ومن ثمّ تزداد ثقتها بنفسها في علاقتها بالآخر، وتكتسب الآليات المناسبة للدفاع عن نفسها، وللتحولات الكبرى في حياتها.

د-المكون الأنثروبولوجي:

يطالعنا السرد منذ العنوان في مستهلّ الرواية بأثر المكون الأنثروبولوجي في طمس حياة المرأة الأفريقية باللون الأسود في القرن السابع عشر؛ إذ تقود آلية الاتجار بالنساء السود إلى فقدانهن الشعور بإنسانيتهن، ويبرز اللون الأسود بوصفه آخر في مرحلة خطيرة ترسم ملامح مستقبل أمريكا الاستعمارية.

– [1] Morrison, T. *A Mercy*, 43.

[2] – المصدر السابق، 142.

– [3] Morrison, T. *A Mercy*, 42.

تحاول "توني موريسون" بالعودة إلى هذه المرحلة الزمنية، أن تقف عند الربط الجائر التعسفي بين السواد والعبودية، حين أبعد الزنوج عن جذورهم، واصطدموا بجدار العنصرية، ووجدوا الحياة أمامهم مرسومة بلون واحد هو الأسود: "هناك، تعلمت أنني شخصٌ ليس له بلد أو عائلة. فأنا زنجية دميمة. اللغة، واللباس، والآلهة، والرقص، والعادات، والزينة، والغناء، ذلك كله مطبوخ معاً بلون بشرتي"[1].

إن المقطع السابق يشير إلى شحن السواد بقيمة سلبية، تنسحب على تفاصيل الحياة وسنن العيش، وترسم برزخاً عنصرياً أو مسافة فاصلة بين اللون الأبيض واللون الأسود. وهذه القيمة ليست متأصلة، بل عرفتها البطلة هناك؛ أي إن شعورها بقبح المظهر ولعنة الزنوجة ليس فطرة فيها، إنما غرسه المجتمع الأبيض فيها بممارساته القائمة على التمييز اللوني؛ إذ يرتفع التوتر الأنثروبولوجي في علامة فارقة في السرد، ترصد فيها الساردة "فلورنس" ردود فعل المجتمع لدى رؤيتهم فتاة سوداء للمرة الأولى: "استدار كل من الزوار للنظر إليّ. شهقت النساء. غطت إحدى النساء عينيها وقالت: فليساعدنا الله(...) تحدثت إحدى النساء قائلة: أنا لم أشاهد أبداً أي بشري بهذا السواد"[2]. وفي موضع آخر نجد كيف يأنف البيض من الاقتراب من الفتاة السوداء، وينظرون إلى سوادها على أنه جرثومة تنقل العدوى، أو كائن ملعون من القدر :"سحبت رسالة سيدتي وقدمتها إليهم، لكن لم يلمسها أحد. أمرني الرجل بأن أضعها على الطاولة، لكنه خشي فض الختم، فطلب من الأرملة القيام بذلك"[3].

إن الساردة الممثّلة "فلورنس" تلقي الضوء على النظرة العنصرية للقرويين الأمريكيين الذين صادفتهم في أثناء مهمة إيصال الرسالة للحداد[4]. وإذا كان البيض هم الذي يغرسون في نفوس السود شعور الاغتراب عن المجتمع والإنسانية، فإن شرعية السود وكينونتهم وقيمة وجودهم تستمد من البيض أنفسهم كما نرى في المقطع الآتي: "أنا مع الرسالة صاحبة انتماء وقانونية. ومن دونها أنا بقرة صغيرة تخلى عنها القطيع، سلحفاة من دون درقة، تابعة من دون علامات مميزة سوى السواد الذي ولدت به من الخارج، نعم، ومن الداخل أيضاً"[5].

فالرسالة التي تحملها "فلورنس" من سيدتها البيضاء كانت بمنزلة جواز سفر يمنح هذه المستضعفة السوداء الأهلية والشرعية، ويضعها موضع المقبولية في الدنو من البيض، والجرأة على مخاطبتهم.

كما لا يفوتنا الحديث عن تلك المعاناة النسوية المهينة التي تعيشها العبدة السوداء في أزمنة الاستعباد، متمثلة في طقس البيع في سوق النخاسة، بصورة تضع المرأة السوداء أكثر من أي امرأة أخرى في دائرة الاستهلاكية؛ إذ جاء في رسالة الأم إلى ابنتها: "تم تقييد بعضنا ببعض بالحبال، ونقلنا أربع مرات، وفي كل مرة المزيد من المتاجرة، والمزيد من الاستعراض للانتقاء، والمزيد من الموت"[6].

---

[1] – المصدر السابق، 144.

[2] – المصدر نفسه، 101.

– [3] Morrison, T. *A Mercy* ،101.

– [4] Sharmely, G. *Racial Slavery in Toni Morrison's A Mercy*, Literary Herald- An International Refereed English e-Journal, Issue 3 , Chidambaram College, Thoothukudi December 2016, 10.

– [5] Morrison, T. *A Mercy*, p104.

[6] – المصدر السابق، 143.

ثالثاً: وجوه الشبه والاختلاف بين "نجوى بن شتوان" و "توني موريسون".

1- وجوه الشبه:

يبرز دور الأنثى السردية في رواية "زرايب العبيد" في الوقوف على مناطق الخصوصية البيولوجية في الجسد الأنثوي؛ إذ يقارب السرد عوامل الألم والخوف الطارئة عليه في شخصية "اسقاوة"، ويشف عن تحول أنوثتها من كونها منتجاً طبيعياً إلى كونها منتجاً نفسياً، تشكله التغيرات البيولوجية التي تمر بها هذه الشخصية. نجد ذلك أيضاً في رواية "رحمة" من خلال الحديث عن البروز السريع لصدر المراهقة الصغيرة "فلورنس"، بوصفه عنوان الأنوثة، وأول تباشيرها، ويقدم هذا التحول البيولوجي، بوصفه أمراً يحيل على ضعف "فلورنس" في مواجهة الرجال المتربصين، ويثير قلقها.

لقد لاحق السرد "اسقاوة" في مرحلة فارقة ومؤثرة في سلوكها، وهي مرحلة (البلوغ)، متتبعاً تحولها البيولوجي الذي انبثق عنه تحولات نفسية كثيرة وضاغطة على تفكيرها، وتحكم تصرفاتها وخيالاتها المستمرة في ظلام براكتها الدامس، في ظل افتقادها للمناخ الأسري الذي يمكن أن يحفظ لها نموها البيولوجي في إطار آمن؛ لذا يتم استغلالها بعلاقة جسدية خارج مؤسسة الزواج؛ نتيجة غياب المسؤولية والرقابة الحسنة في مجتمع زرايب العبيد. وفي رواية "رحمة" تملأ "فلورنس" وحدتها باستمرار في عملية تخييل تستجيب فيها لميولها. وهذا يبرز حاجة بيولوجية ماسة إلى الدفء العاطفي في ظل افتقادها للدفء العائلي؛ لأنّ أمها تضطر إلى أن تبيعها إلى السيد الأبيض "جيكوب"، فيتملكها شعور حاد بالهجران بقية حياتها، وتسقط دون سيطرة في الشهوة مع أول حفرة رجالية تقع في طريقها.

تظهر رواية "زرايب العبيد" الأمومة في أقسى أوضاعها، عندما يُترك طفل العبدة "تعويضة" يموت جوعاً وهي إلى جانبه مكبلة، وجرح مفتوح يشير بوضوح إلى حرمان المرأة السوداء من حقها في الأمومة، ثم تضحي بعد ذلك بحياتها لإنقاذ وثيقة تحرر ابنتها "عتيقة" من العبودية. الأمر ذاته نجده في رواية "رحمة"؛ إذ إن انتزاع الطفلة "فلورنس" من أمها يأتي تكريساً للتعامل مع المرأة السوداء بوصفها بضاعة. فالرواية توضح تعقيد مفهوم الأمومة، من خلال تخلي الأم البيولوجية عن ابنتها، وتكبدها الآلام الروحية والنفسية باضطرارها إلى ذلك الفراق.

يتوسع مفهوم الأمومة عند المرأة السوداء في رواية "زرايب العبيد" إلى أن يتجاوز الروابط البيولوجية التقليدية، في شكل من أشكال تحدي الإرادة العنصرية التي تتحكم بمصيرها؛ إذ تسعى "تعويضة" إلى تعويض فقدانها طفلها برعايتها طفلاً آخر وضعه القدر أمامها، أبيض بعينين زرقاوين، فتنقذه وتهرب به بعيداً. كما أن السرد في رواية "رحمة" يقدم لنا الشخصية المحورية "فلورنس" تحت رعاية "لينا"، التي تقوم بدور أمها البديلة؛ ليبرز السرد أن مفهوم الأمومة لا يمكن اختزاله إلى الوظيفة البيولوجية، ويتحدّى بذلك الصورة النمطية لها، حتى أصبحت الصورة التقليدية للأسرة الأفريقية المستعبدة، لا تخلو من غياب فرد، أو وجود آخر لا ينتمي إليها بيولوجياً، وهذا جزء من الممارسة العنصرية في تجريد السود من حقوقهم الإنسانية.

تعيش "عتيقة" اليتم الكامل بمعانيه كلها، بالنظر إلى غياب الأب العاجز عن الدفاع عن حبه وعن أبوته، المهزوم أمام سلطة التقاليد وسطوتها، وتفتقد بذلك أهم لفظتين تشيران إلى الروابط البيولوجية: أمي، وأبي. كذلك الأمر في رواية "رحمة"؛ إذ نجد أن اليتم المعنوي الذي تعيشه البطلة لا يقتصر على افتقادها الأم البيولوجية، فهي تفتقد أيضاً لفظة "أبي" منذ أن خرجت إلى الحياة. بل إن أباها غير معروف؛ لأنها جاءت إثر اغتصاب جماعي.

تبرز "نجوى بن شتوان" معاناة الشخصيات النسائية من الضرب الوحشي، بوصفه يرتبط بالقهر الاجتماعي الممارس على الأنثى السوداء؛ لافتقارها بصورة خاصة إلى الحماية من العنف المتعلق بجنسها أو عرقها؛ إذ تعلّق "تعويضة" كالذبيحة دامية في الحمام، لمجرّد أن القطط أكلت لحم الوليمة المعدّة لأعيان الحي وشيوخه، وتتعرض ابنة السيد

للعنف لمحاولتها إبعاد أبيها، وتخشى أمها على نفسها من حدوث الطلقة الأخيرة التي تحرّمها على زوجها إن هي تدخلت في المشكلة. كما تظهر "موريسون" في رواية "رحمة" وقوع جميع النساء في المشهد الروائي الذي تقدمه، تحت سياط العنف والاضطهاد بسبب جنسهن الاجتماعي، فتحاول لفت الانتباه إلى أن المجتمع الأمريكي في القرن السابع عشر قد قام بإضفاء الشرعية على العنف المنزلي ضد المرأة.

تأتي أهمية التعليم بالنسبة إلى لأنثى السوداء المقهورة التي ترزح تحت مختلف أشكال العبودية في المجتمع الليبي بمنزلة طوق النجاة من تلك العبودية؛ إذ تروي الساردة "عتيقة" استعدادها لحياة جديدة لا تشبه تلك التي عاشتها أمها بالذهاب إلى مدرسة محو الأمية. كذلك الأمر في رواية "رحمة" فالأم السوداء تؤمن بأن العلم هو الطريق الذي يجب أن تسلكه ابنتها؛ لتشق طريقها، وتكتسب الآليات المناسبة للدفاع عن نفسها، وتقهر ظروفها.

إن السرد في "زرايب العبيد" يشير صراحة إلى ارتباط الجلدة السوداء بالعبودية والمدلولات السلبية الانتقاصية، من خلال دهشة البطلة "عتيقة" إزاء المفارقة الكبيرة بين سوء مأكل السود، وملبسهم، ومسكنهم، من جهة، وتميز مأكل البيض، ونظافة ثيابهم ومنازلهم، من جهة أخرى. كما تقف "توني موريسون" عند الربط الجائر التعسفي بين السواد والعبودية، وانسحاب السواد السلبي على تفاصيل الحياة وسنن العيش، من خلال استرجاع شريط ذكريات أم "فلورنس"، الذي يظهر اكتشافها معنى زنوجتها الدميمة، وتلون الحياة أمام عينيها بلون واحد هو الأسود.

كما يظهر رفض أهل بنغازي من غير السود لسواد البطلة "عتيقة، أن شعورها بالدونية ليس طبيعة فيها، إنما يأتي نتاجاً لتحكم الأنساق الثقافية في المجتمع، في سلوك أفراده وتصوراتهم. وفي رواية "رحمة" تظهر ردة فعل المجتمع تجاه سواد البطلة "فلورنس"، أن القيمة السلبية للسواد ليس فطرة فيها. فشعورها بقبح المظهر ولعنة الزنوجة، وإثارتها للاشمئزاز، جاء وليد ممارسات المجتمع الأبيض القائمة على التمييز اللوني.

وإذا كان البيض هم الذي يغرسون في نفوس السود شعور الاغتراب عن المجتمع والإنسانية، فإن السود يرَون أن قيمة وجودهم يمنحهم إياها البيض أنفسهم. إذ يمنح الحب "تعويضة" شعوراً بالانعتاق النفسي، يجعلها تحس بالمساواة مع سيدها. كذلك الأمر فإن الرسالة التي تحملها "فلورنس" من سيدتها البيضاء تمنح هذه المستضعفة السوداء الإحساس بكينونتها وشرعيتها، لكن من دونها هي مجرد تابعة من دون علامات مميزة سوى سوادها.

تتطرّق رواية "زرايب العبيد" إلى المعاناة النسوية المهينة التي تعيشها العبدة السوداء في أزمنة الاستعباد، بصورة تضع المرأة السوداء أكثر من أي امرأة أخرى، في دائرة التشييئية والاستهلاكية؛ إذ يبرز مشهد بيع "عتيقة" في سوق العبيد المهانة التي تلقاها. تتطرّق "موريسون" إلى القضية المشينة والجارحة ذاتها؛ إذ تظهر رسالة الأم إلى ابنتها "فلورنس"؛ تقييد النساء السود بعضهن ببعض بالحبال، ونقلهن مرات عديدة، وفي كل مرة المزيد من المتاجرة، والمزيد من الاستعراض للانتقاء، في سوق النخاسة.

2-وجوه الاختلاف:

تضرب الروائية "نجوى بن شتوان" في عمق التاريخ الليبي بالعودة إلى زمن ما قبل الاحتلال الإيطالي لليبيا؛ لتكشف النقاب عن تلك الفترة، وتروي كيف انتهى الاستعباد في ليبيا مع طرد العثمانيين منها على يد الاستعمار الإيطالي، بينما تروي "توني موريسون" في رواية "رحمة" كيف ابتدأ الاستعباد في أمريكا؛ لتستكشف بذلك جذوره، وأصله الحقيقي في أمريكا، بالعودة إلى القرن السابع عشر؛ أي أنها تحاول رفع الغطاء عن أصل العنصرية.

تعيش "عتيقة" مأساة فقد الأم مرتين؛ مرة حين تعيش طفولتها وصباها محرومة من ذلك الرابط الذي يحسه الإنسان تجاه أمه، وهو لا يقدر بثمن، ومرة أخرى حين تدرك بعد فوات الأوان أن عمتها "صبرية" هي أمها الحقيقة/ البيولوجية؛ أي

"تعويضة". لكنها تقرّ بأن أمها دخلت نيراناً كثيرة من أجلها. أما في رواية "رحمة" فإن الأم تعدّ تخليها عن ابنتها نوعاً من التضحية، حين طلبت من السيد أن يستبدلها بابنتها لما فيه خير لها، بعد أن رأت الأم في عيني السيد أنه إنسان. ومنذ ذلك اليوم كانت ترجو أن تتفهم ابنتها ما تعرفه، لكنّ ابنتها لم تغفر لها ما فعلته.

يتصدى مجتمع "زرايب العبيد" لوسوسة الشيطان عند الأنثى، ويسكت صوت غريزتها الجنسية من خلال طقس التقفيل، في محاولة لاستئصال الرغبة من جذورها؛ لأن الأنثى معيار العفة والشرف في مجتمعات (العيب) الشرقية. أما "موريسون" فإنها تقدم غريزة الفتاة الجنسية بوصفها صورة غير نمطية للاسترقاق. فالفتاة السوداء "عبدة" لرغبتها في الحداد؛ لهذا فإن الحداد ينبذ عبودية المشاعر التي تعيشها، ويعوض قهره زمن عبوديته بقهرها.

إن الأمة السوداء "تعويضة"، التي حصلت لابنتها على كاغدها الشرعي، سعت بنفسها لتطبق على ابنتها، ما يفرض على الفتيات الحرائر وحدهن من قواعد المجتمع؛ إذ سرعان ما تنضم إلى قافلة الأمهات المتسابقات؛ للوقوف على الطابور الطويل، لتصفيح ابنتها، وإسكات صوت رغبتها الجنسية، وتجنب الاصطدام بغرائز الرجال؛ ومن ثَمَ إخضاعها لقبضة السلطة الاجتماعية. بينما نجد في رواية "رحمة" أن الأم تترجم قلقها من رغبات ابنتها الحالمة بمراهقة وردية، باعتماد لغة الحوار والنصيحة؛ إذ تشرح وجهة نظرها في أن تتريث ابنتها وتسلم قياد مظهرها الأنثوي لدورة الزمن الطبيعي. فمن الأفضل أن تتجنب استقطاب نظرات الرجال، وإثارة غرائزهم. إن الأم هنا تراقب رغبات ابنتها، وتأسف لعجزها عن حمايتها من أعين الرجال، لكنها لا تفرض عليها ما ينبغي فعله بلهجة آمرة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف يحيل على الفارق الثقافي بين مجتمعي كل من البطلتين.

الخاتمة:

وهكذا فإن السرد النسوي الذي قاربناه، عند "نجوى بن شتوان" و "توني موريسون" يكتنز بالأنساق المضمرة المتكونة عبر تراكمات السّياق الاجتماعي والثقافي والأنثروبولوجي؛ لينم على وعي المرأة في مواجهة تحديات الهيمنة الذكورية، من خلال فعل الكتابة الذي يضعها في مكانها الصحيح على الخارطة الثقافية، ويعبر عن رفضها قبول الدور الثانوي المنوط بها في المجتمع؛ الأمر الذي ينعكس على المساحة التي تشغلها في السرد، باحتلالها المتن بعد أن كانت تقبع في الهامش. وهذا الانحياز السردي إلى بؤرة الأنوثة ومنطقتها، ردّ فعل طبيعي على الانحياز الاجتماعي إلى بؤرة الذكورة. وعلى الرغم مما رأيناه من الاختلاف الذي يصنعه الفارق الثقافي بين المجتمعين العربي والأجنبي، فإن سرديات العبودية النسوية، كما رأينا عند كلتا الكاتبتين، تقدم المرأة السوداء في أدوارها الدونية، بوصفها سلعة قابلة للاستهلاك؛ لتفضح بذلك ممارسات المجتمع الذكوري، وتوجهاته في تغييب المرأة كلياً ومحو ذاتيتها وكسر إرادتها، وتذويبها في عوالم الشهوة، وتصور مواطن الخلل والقهر الذي يلحق بها، فتضع يدها على الجراح علّها تبرأ مع الأيام.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم، د. عبدالله. *السرد النسوي*. المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 2011.

2- أفاية، محمد نور الدين. *الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش*، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998.

3-جامبل، سارة. *النسوية وما بعد النسوية*، تر: أحمد الشامي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

4- حجازي، د. مصطفى. *التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور المركز الثقافي العربي. ط9، بيروت، 2005.*

5- رمضان، نبهان. كتابات الأظافر الطويلة- دراسة تطبيقية لثلاث روايات لمبدعات (زرايب العبيد، 104 القاهرة، المختلط)، موقع مصر المحروسة الألكتروني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 08 يوليو، 2017. http://misrelmahrosa.gov.eg/NewsD.aspx?id=50730

6-الرويلي، د. ميجان- البازعي، سعد. *دليل الناقد الأدبي- إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً*. ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000.

7- سلدن، رامان. *النظرية الأدبية المعاصرة*، تر: جابر عصفور. ط1، دار قباء، القاهرة، 1998.

8- بن شتوان، نجوى. *زرايب العبيد. ط1*، دار الساقي، بيروت، 2016.

9- الشريم، عدنان علي. *الأب في الرواية العربية المعاصرة*. ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.

10- عبد المطلب، د. محمد. *بلاغة السرد النسوي – سلسلة دراسات نقدية*. ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007.

11- عناني، د. محمد. *المصطلحات الأدبية الحديثة- دراسة ومعجم إنكليزي-عربي*. ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الجيزة- مصر، 2003.

12- الغذامي، عبد الله: النقد الثقافي. *قراءة في الأنساق العربية*. ط1، بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000.

13- الفران، د. سماح عبد الله. *ثقافة النص – قراءة في السرد اليمني المعاصر*. ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2016.

14- فرويد، سيغموند. *ثلاثة مباحث في نظرية الجنس*. تر: جورج طرابيشي. ط2، دار الطليعة، بيروت، 1983.

15- قطب، سيد محمد السيد؛ وآخرون. *في أدب المرأة*. ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 2000.

16- ابن منظور، جمال الدين محمد. *لسان العرب*.ط3، دار صادر، بيروت، 1993.

17– AMBARASTUTI, M. Rahaya. *Toni Morrison's A Mercy: The Black Woman Slaves' Struggle to Gain Freedom in America in The 1600s*, Santa Dharma University, Yogyakarta, 2010.

18- ECKARD, P. G. *Maternal body and voice in Toni Morrison*, University of Missouri Press, Columbia, 2002.

19– FONTES O. N. *Motherhood in Toni Morrison's Sula and A Mercy- rethinking mothering*, The Federal University of Mato Grosso do Sul, Brasil, 2015.

20– JOSEPH, G. *Black mothers and daughters- their roles and functions in American society*, South End Press, Boston, 1981,

21– MORRISON, T. *A Mercy*. 1st ed, Alfred A. Knopf Books, New York , 2008.

22– SHARMELY, G. *Racial Slavery in Toni Morrison's A Mercy*, Literary Herald- An International Refereed English e-Journal, Issue 3 , Chidambaram College, Thoothukudi December 2016.

23–WANG, Y. *Morrison's Black Feminist Discourse in A Mercy*, Changchun University of Science and Technology, China, 2015.